الشاطر حسن يحرز بطولة بيت لاهيا للوحدة الوطنية ومصارعة الشيطان

القصة باختصار، كما رواها بطلها حسن المصري، وهو مزارع أشيب الشعر صاحب يد خضراء، أن جيرانا في قريته بيت لاهيا توهموا أثناء حفل عرس لهم في الأسبوع الماضي أن ابن حسن الصغير قذف حجرا على ولد من أولادهم في العرس ليلا. فضربوه ضربا مبرحا، وتسامع بذلك أقاربه، بينما كان حسن نفسه خارج القرية.

وعندما عاد حسن إلى بيته، وجد فريقا من شبان عائلته محتشدا بالسلاح الأبيض، يتأهب للانطلاق من باب مزرعة حسن إلى العرس المجاور للانتقام. فحال دونهم. وأغلق باب المزرعة على أقاربه ووقف على الباب ليمنع انطلاقة الشر. وإن هي إلا هنيهات حتى أقبل فريق من أهل العرس، مدججا بسلاحه بعدما تسامع بنبأ احتشاد الفريق الآخر.وهنا صاح حسن المصري بالقادمين وهو مازال يسد الباب بجسده الفارع:

حد الله ما بيننا وبينكم!

غير أن ذلك لم يمنع أحد القادمين من توجيه ضربة إلى مقدم رأس حسن، الذي ظل واقفا ممسكا بالباب بإحدى يديه، وبجبهته الدامية باليد الأخرى. وانصرف المهاجمون بعدما شاهدوا الدم يتدفق من رأسه.

في المستشفى تبين أن الضربة أحدثت كسرا في الجمجمة. وقام طبيب مناوب بخياطة الجرح، وأرسل حسن إلى العناية المركزة. ولكن هذا لم يستطع أن يرتاح. فقد عرف أن الشيطان في القرية سرعان ما سيلعب لعبته في غياب حسن. فسارع بالعودة حيث تقاطر عليه الزوار. فأما الذين تكلموا الكلام الطيب فرحب بهم واستمع إليهم، وأما الذين جاؤوا بالفساد فطلب منهم بحزم أن ينصرفوا إلى بيوتهم غير مشكورين.

وخف إليه المناضل الكبير محمد ديب المسلمي ابن القرية، مطمئنا وداعيا لضبط النفس، وإذا بحسن يطلب منه استخدام دالته ليأتي بالعائلة المعتدية لإجراء الصلح فورا! وجاء المعتدون معترفين بجريرتهم حاملين نقودهم لتطييب الخاطر على عادة الناس. فما كان من حسن المصري إلا أن أعاد آلاف الدنانير إلى والد الجاني مكتفيا بالقول:

. لا حاجة لي بالمال. وكل ما أريده منك هو أن تحسن تربية ابنك!

قال لي حسن المصري عاشق الخضرة والشجر الذي تربى يتيما وحقق بالكد والعمل ما لم يحققه الأثرياء، حتى سميته الشاطر حسن:

. ألا يكفينا ما يفعله بنا الاحتلال حتى نفعل بأنفسنا الأفاعيل؟!

وليس عندي أوسمة. ولكنني انحنيت أطبع قبلة كبيرة على الرأس الملفوفة بالشاش للرجل الذي صرع في أمسية واحدة شيطان نفسه، وشيطان عائلته، وشيطان المفسدين وشيطان المعتدين. وقلت في نفسي: هذا هو النموذج الحقيقي للوحدة الوطنية، بلا حذلقة، بلا برامج مكتوبة، بلا شعارات!!

ما يجهله برلسكوني عن الحضارة الإسلامية

كل إنسان لديه الشعور الطبيعي بالانتماء لأمته ولوطنه يستشيط غضبا بالطبع إزاء تصريحات سلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا ومؤيديه اليمينيين ضد الإسلام. وقد انبرى السيد عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية للاحتجاج رسميا والمطالبة بالاعتذار أو بالاستنكار. بينما يحس العرب غير الرسميين أن الروح

المعادية للإسلام والعرب في الغرب متأصلة إلى الحد الذي لا جدوى حياله من الاعتذار أو تقديم التفسيرات المخففة.

وليس هينا ما قاله رئيس وزراء إيطاليا، خاصة بالنظر للوقت وللمناسبة التي اختارها للكشف عن حزازات صدره ومكنونات ضميره. فهو الوقت الذي تتحرك فيه البوارج والمدمرات والغواصات وتحلق فيه القلاع الطائرة من الغرب إلى الشرق، في حملة هجومية هدفها المعلن هو القضاء على الإرهاب، ومناخها المحيط بها من كل جانب هو معاداة العرب والعروبة والإسلام والمسلمين. بيد أن الأمريكيين المجروحين كانوا أكثر لياقة من رئيس وزراء إيطاليا، المرتبطة بالمنطقة العربية بالروابط المتوسطية التي كثر الحديث عنها في السنوات العشر الماضية. فالرئيس الأمريكي لم يقصر في معالجة فلتة لسانه الصليبية، من خلال زيارة المسجد واستقبال ممثلي الجالية الإسلامية في الولايات المتحدة. والرسميون الأمريكيون وأذنابهم البريطانيون دأبوا على التصريح مرة بعد مرة بعد ذلك، قائلين إن الإرهاب غير الإسلام، وإن عامة المسلمين غير مسؤولين عن أفعال منفذي الهجمات على نيويورك وواشنطن.

وعلى ضوء ذلك يبدو تعمد برلسكوني ذكر الإسلام سلبا، دون مناسبة واضحة، أثناء زيارته ألمانيا في الأسبوع الماضي، أشبه بمزايدة على الأمريكيين أنفسهم، أو تسعير للحملة الإعلامية المرافقة للزحوف العسكرية، أو تغريد خارج السرب الأنجلو أمريكي. وهي مبادرة لا تتناسب مع المقولات التي كادت تصبح جزءا من عقيدة المنطقة، القائلة إن الأوروبيين أكثر تفهما للقضايا العربية وأكثر حيادية من الأمريكيين تجاه الصراع العربي الصهيوني.

ومما يدعو إلى استذكار الأوروبيين وليس الإيطاليين وحدهم بالمناسبة، أنه حدث قبل برلسكوني بسنوات عديدة، أن تكلمت أجهزة المخابرات الألمانية عن خطر الإسلام على المجتمع الألماني. وهكذا وجدنا الملوثين في أرواحهم ببقايا النازية والفاشية، في ألمانيا وإيطاليا على التوالي، يعاودون رفع رؤوسهم وأصواتهم، لا ضد اليهود كما حدث في الماضي على الرغم من أنهم يضمرون لليهود قدرا أكبر من الكره ولكن ضد الإسلام والمسلمين، بسبب ضعفهم وشتاتهم وانعدام إرادتهم. ولم يتردد ورثة النازية والفاشية في العصر الحديث في وضع أنفسهم في خدمة إسرائيل وعقيدتها الصهيونية، التي هي لون آخر من ألوان العقائد القائمة على التمييز العنصري وتأليه القوة والقيم المادية.

قصة الحضارة على لسان ديورانت

وأقل ما يقال في برلسكوني أنه جاهل في الموضوع الذي تكلم عنه، موضوع الإسلام والحضارة الإسلامية. فقد ألقى على قارعة الطريق، لا في حلقة دراسية أو معهد أكاديمي، قولا جزافا قارن فيه بين حضارتين، دون داع ودون مناسبة للمقارنة، إذ ما هي مناسبة الكلام عن الإسلام والحضارة الإسلامية ومقارنتها بالنصرانية والحضارة المسيحية، حتى لو كان مرتكبو هجوم الثلاثاء الرهيب عربا أو مسلمين فعلا؟ أليست في إيطاليا نفسها مافيا طويلة عريضة ترتكب الجرائم ليلا ونهارا على مدار العام، وتجند في صفوفها عددا غير معلوم من رجال الدولة (ومنهم رؤساء وزارات أحيانا كما كشفت التحقيقات)؟ فأية تفاهة سوف يتصف بها أي إنسان إذا استدل من ذلك على أن الحضارة المسيحية أقل شأنا من غيرها؟

لو أن رئيس وزراء إيطاليا حاول ذات مرة أن يقرأ كتاب مؤلف أمريكي سهل قريب من الموضوعية هو كتاب

قصة الحضارة لول ديورانت لوجد عبارات تقول:

يلوح أن الثغرة التي لا بد من وجودها بين النظريات المجردة والأفعال الواقعية كانت أضيق في الإسلام منها في سائر الأديان.

. لسنا نجد في التاريخ كله مصلحا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء.

. سوى القرآن بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث وتتصرف بمالها كما تشاء. ومنع زواجها بغير إرادتها.

. أوجد الإسلام بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض. وعلم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة ويتحملوا قيودها بلا شكوى ولا ملل.. وقد عرف الدين وحدده تحديدا لا يجد المسيحي ولا اليهودي صحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله.

. لقد كان في وسع المسلمين أن يحاربوا ببطون خاوية.. ولكنهم لم يكونوا في حروبهم همجا متوحشين ... ولم يكن الأعداء يخيرون بين الإسلام والسيف ولكن بين الإسلام والجزية والسيف.

. شجع عمر بن عبد العزيز المسيحيين واليهود والزرادشتيين على اعتناق الإسلام ولما شكا إليه عماله القائمون على شؤون المال من أن هذه السياسة ستفقر بيت المال أجابهم بقوله: والله لوددت لو أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكا من كسب أيدينا.

. كان العمال على اختلاف طوائفهم عاملين جادين في بلاد الإسلام، فكان الرجال يربون الماشية والخيل والإبل والمعز والفيلة والكلاب والبقر وينتجون مائة نوع من الحبوب والخضر والفاكهة ولالنقل والأزهار. لقد جاء العرب إلى بلادهم بشجرة البرتقال من الهند في وقت ما من القرن العاشر الميلادي وأدخلوها في بلاد الشام وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر وأسبانيا، ثم انتقلت منها إلى جميع أنحاء أوروبا الجنوبية. كذلك نقل العرب زراعة قصب السكر وصناعة السكر نفسه وتكريره من الهند ونشروا ذلك في جميع أنحاء الشرق الأدنى، ومن تلك البلاد نقلهما الصليبيون إلى أوطانهم. وكان العرب أول من زرع القطن في أوروبا.

. لا يسعنا إلا أن نسلم، مع بعض التحفظات، بأن الخلفاء الأولين، من أبي بكر إلى المأمون، قد وضعوا النظم الصالحة الموفقة للحياة الإنسانية في رقعة واسعة من العالم، وأنهم كانوا من أقدر الحكام في التاريخ كله... ونشروا الرخاء مدى ستة قرون في أصقاع لم تر قط مثل هذا الرخاء بعد عهدهم.

. كان التعليم الأولي يهدف إلى تقويم الأخلاق، والثانوي إلى معرفة العلم.

جريمة لا تغتفر

ويقصر المجال عن الاستشهادات التي يأتي بها ول ديورانت، والتي تبين فضل الحضارة العربية الإسلامية في إخراج أوروبا من جهلها وتخلفها الحضاري في عتمة القرون الوسطى. وتقدمها في جميع أبواب الحضارة القائمة على الإنسان المؤمن الراقي ومنجزاته في المدنية والتعليم والعلوم والطب والفلسفة والأدب والفن والموسيقى والعمارة.

إن برلسكوني سياسي كبير وزعيم حزب في إيطاليا. ولذا فإن جهله ربما يكون جهلا سياسيا لا علميا. وقد يكون هناك عذر لعامة الأجانب الذين يخلطون بين واقعنا المعاصر وبين عقيدتنا الدينية ويربطون بين ديننا وبين

تخلفنا، فهم لا يعرفون الإسلام ولا يفهمونه على حقيقته. ولكن لا عذر لأمثال هذا الفاشي البغيض الذي نسي أن إيطاليا ساهمت في تخلف البلاد العربية بما ارتكبته من فظائع أثناء احتلالها ليبيا، نذكر منها في مدينة غزة دائما إعدام عمر المختار الذي تسمى الشارع الرئيس في المدينة باسمه.

لكن مشكلتنا ليست مع أعدائنا، بل مع أنفسنا. نحن المسيئين إلى ديننا العظيم.ولا عيب في الإسلام إلا ضعف أهله.فالضعف هو الخطيئة الأصلية في عالم العلاقات الدولية.